العددِ ١ 21A حزيران ٢٠٢٦
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A1 Jun2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

السياق القرآني وأثره في تحديد دلالة لفظ "الشهيد" دراسة في المعنى السياقي

م.م منال مصطفى كامل
الجامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية
manal.m@cois.uobaghdad.edu.iq

م. م . زهراء نديم وادي سلامة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
Za1996:na@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص:

يتناول هذا البحث إلى دراسة أثر السياق القرآني في تحديد دلالة لفظة "الشهيد" ومشتقاته في القرآن الكريم، من خلال منهج علمي يجمع بين الاستقراء والتحليل والمقارنة، وقد انطلق البحث من إشكالية مركزية تتمثل في التساؤل عن كيفية إسهام السياق القرآني في تحديد الدلالة المرادة من لفظة "الشهيد" الذي يحمل معاني متعددة في القرآن الكريم.

وقد استعرض البحث الإطار المفاهيمي والنظري، مبيناً المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة "الشهيد"، حدد البحث الدلالات المتعددة للفظ "الشهيد" في القرآن الكريم، وهي خمسة معانٍ رئيسة: الشاهد الذي يؤدي الشهادة في المعاملات والقضاء، والحاضر المطّلع على الأمر، والقتيل في سبيل الله، والرقيب والمراقب، واسم من أسماء الله الحسنى الدال على كمال علمه واطلاعه على كل شيء.

وقدّم البحث دراسة تطبيقية على نماذج قرآنية متنوعة، مبيناً كيف يُحدد السياق اللغوي الدلالة من خلال القرائن اللفظية والتركيبية المحيطة باللفظة، وكيف يُسهم السياق الموضوعي في تعميق الفهم من خلال موضوع السورة ومقاصدها، وكيف يُعين السياق التاريخي على فهم ملابسات النزول والحكمة من الآية الكريمة، واستخلص البحث على ضوابط منهجية لتوظيف السياق في تحديد دلالات الألفاظ القرآنية، منها: الانطلاق من المعنى اللغوي الأصلي، ومراعاة أنواع السياق المختلفة، والاستعانة بالقرائن، والرجوع إلى أقوال السلف، وعدم التعسف في التأويل، والتكامل المنهجي.

وتوصل البحث إلى نتائج مهمة، أبرزها: أن السياق القرآني بأنواعه المختلفة هو العامل الحاسم في تحديد دلالة لفظة "الشهيد"، وأن إهمال السياق قد يؤدي إلى الخلط الدلالي والفهم الخاطئ للنص، وأن استخدام القرآن للفظ الواحد في معانٍ متعددة دون لبس أو غموض يمثل وجهاً من وجوه الإعجاز البياني، وأن المعنى الاصطلاحي الشرعي للشهيد متفرع عن المعنى اللغوي الأصلي وليس منفصلاً عنه،وأوصى البحث بضرورة التوسع في دراسة السياق القرآني وتطبيقاته على ألفاظ القرآن المختلفة، وإعداد معجم سياقي لألفاظ القرآن الكريم، وتضمين مناهج الدراسات القرآنية مقررات متخصصة في السياق القرآني، والتحذير من انتزاع الآيات من سياقاتها وتأويلها تأويلاً خاطئاً.

الكلمات المفتاحية: السياق القرآني، لفظة الشهيد، الدلالة السياقية، التفسير الموضوعي، المعنى اللغوي، الإعجاز البياني، القرائن اللفظية، الدراسات القرآنية.

The Qur'anic context and its impact on determining the meaning of the word "martyr": A study in contextual meaning

M.M. Manal Mustafa Kamel
University of Baghdad
College of Islamic Sciences
manal.m@cois.uobaghdad.edu.iq

M.M. Zahraa Nadeem Wadi Salama
Al-Mustansiriya University
College of Arts
Za1996:na@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:

This research examines the impact of the Quranic context on determining the meaning of the word "martyr" and its derivatives in the Holy Quran. It employs a scientific methodology combining induction, analysis, and comparison. The research stems from a central question: how does the Quranic context contribute to determining the intended meaning of the word "martyr," which carries multiple meanings in the Holy Quran?

The research presented an applied study on various Qur'anic models, showing how the linguistic context determines the meaning through the verbal and syntactic clues surrounding the word, how the thematic context contributes to deepening understanding through the subject of the surah and its purposes, and how the historical context helps in understanding the circumstances of revelation and the wisdom of the noble verse. The research concluded with methodological controls for employing context in determining the meanings of Qur'anic words, including: starting from the original linguistic meaning, taking into account the different types of context, using clues, referring to the sayings of the predecessors, not being arbitrary in interpretation, and methodological integration.

The research reached important results, most notably: that the Qur'anic context in its various forms is the decisive factor in determining the meaning of the word "martyr", that neglecting the context may lead to semantic confusion and misunderstanding of the text, that the Qur'an's use of a single word in multiple meanings without ambiguity or obscurity represents one aspect of its rhetorical miracle, and that the legal technical meaning of "martyr" is derived from the original linguistic meaning and is not separate from it. The research recommended the necessity of expanding the study of the Qur'anic context and its applications to the various words of the Qur'an, preparing a contextual dictionary of the words of the Holy Qur'an, including specialized courses in Qur'anic context in Qur'anic studies curricula, and warning against taking verses out of their contexts and misinterpreting them.

Keywords: Qur'anic context, the word "martyr," contextual significance, thematic interpretation, linguistic meaning, rhetorical inimitability, verbal evidence, Qur'anic studies.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يُعدّ القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، ومصدر التشريع الأول، وقد اشتمل على ثروة لغوية هائلة تجلّت في دقة اختيار ألفاظه، وإحكام تراكيبه، وتنوع دلالاته، ومن بين الألفاظ القرآنية التي تستدعي الوقوف عندها بالبحث والتحليل لفظة "الشهيد" ومشتقاته، إذ ورد هذه اللفظة في مواضع متعددة من القرآن الكريم، حاملةً معاني متنوعة تتحدد بحسب السياق التي ترد فيه.

إن دراسة السياق القرآني تمثل أحد أهم المداخل المنهجية لفهم النص القرآني وإدراك أبعاده الدلالية، فالكلمة في القرآن الكريم لا تُفهم بمعزل عن سياقها، بل إن السياق هو الذي يحدد المعنى المراد ويكشف عن الدلالة المقصودة، وقد أدرك علماء التفسير واللغة أهمية السياق في فهم النص القرآني، فاهتموا به اهتماماً بالغاً، وأفردوا له مباحث مستقلة في مصنفاتهم وكتبهم.

ولفظة "الشهيد" في القرآن الكريم تمثل نموذجاً بارزاً لأهمية السياق في تحديد الدلالة، إذ ترد هذه اللفظة بمعانٍ متعددة: فتارة يُراد به الشاهد الذي يؤدي الشهادة، وتارة يُراد به الحاضر المطّلع، وتارة يُراد به القتيل في سبيل الله، وأحياناً يُستخدم بمعنى الرقيب أو المراقب، وقد يُطلق على الله تعالى بمعنى العليم بكل شيء هذا التنوع الدلالي يجعل من دراسة هذه اللفظة ضرورة علمية لفهم المراد منها في كل موضع ترد فيها.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من جوانب عدة، أبرزها:

أولاً: الأهمية العلمية: إذ تسهم في إثراء الدراسات القرآنية من خلال تسليط الضوء على منهج السياق في تحديد دلالات الألفاظ القرآنية، وهو منهج يحتاج إلى مزيد من التطبيقات العملية على ألفاظ القرآن الكريم، وكذلك

تسهم في رفع اللبس والخلط الذي قد يقع فيه بعض القراء عند التعامل مع لفظة "الشهيد" في القرآن الكريم، خاصة في ظل شيوع استخدام هذه اللفظة بمعنى واحد في الخطاب المعاصر.

ثانياً: الأهمية المنهجية: إذ تقدم نموذجاً تطبيقياً لكيفية توظيف نظرية السياق في الدراسات القرآنية، مما يفيد الباحثين في هذا المجال.

ثالثا: الأهمية اللغوية: إذ تكشف عن ثراء اللغة العربية وقدرتها على استيعاب معانٍ متعددة للفظ الواحد بحسب السياق.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا البحث حول السؤال الرئيس التالي:

كيف يسهم السياق القرآني في تحديد دلالة لفظة "الشهيد" ومشتقاته في القرآن الكريم؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة فرعية، هي:

١. ما المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة "الشهيد" عند علماء اللغة والتفسير؟
٢. ما المقصود بالسياق القرآني، وما أنواعه، وما أهميته في فهم النص القرآني؟
٣. ما المعاني المختلفة التي ورد بها لفظة "الشهيد" ومشتقاته في القرآن الكريم؟
٤. كيف يتحدد معنى لفظة "الشهيد" من خلال السياق اللغوي (المقالي) في الآيات القرآنية؟
٥. ما دور السياق الموضوعي (سياق السورة) في تحديد دلالة لفظة "الشهيد"؟
٦. كيف تتكامل القرائن السياقية المختلفة في تحديد المعنى المراد من لفظة "الشهيد"؟
٧. ما الضوابط المنهجية التي ينبغي مراعاتها عند دراسة دلالات الألفاظ القرآنية من خلال السياق؟

وتنطلق هذه الإشكالية من فرضية مركزية مفادها: أن السياق القرآني بأنواعه المختلفة (اللغوي، والموضوعي، والتاريخي) يمثل العامل الحاسم في تحديد الدلالة المرادة من لفظة "الشهيد"، وأن إهمال السياق قد يؤدي إلى الوقوع في الخلط الدلالي والفهم الخاطئ للنص القرآني.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة "الشهيد" من خلال استقراء أقوال علماء اللغة والتفسير.
٢. توضيح مفهوم السياق القرآني وأنواعه وأهميته في الدراسات القرآنية.
٣. حصر المواضع القرآنية التي ورد فيها لفظة "الشهيد" ومشتقاته، وتصنيفها بحسب دلالاتها المختلفة.
٤. تحليل نماذج تطبيقية من الآيات القرآنية لبيان كيفية تحديد السياق لدلالة لفظة "الشهيد."
٥. استخلاص الضوابط المنهجية لتوظيف السياق في تحديد دلالات الألفاظ القرآنية.
٦. إبراز الإعجاز البياني في استخدام القرآن الكريم للفظة الواحدة في معانٍ متعددة دون لبس أو غموض.

منهج البحث:

اعتمد البحث على عدة مناهج علمية متكاملة، أبرزها:

١. **المنهج الاستقرائي:** وذلك باستقراء المواضع القرآنية التي ورد فيها لفظ "الشهيد" ومشتقاته، وجمع أقوال المفسرين واللغويين حول هذه اللفظة.
٢. **المنهج الوصفي التحليلي:** من خلال وصف السياقات المختلفة التي وردت فيها اللفظة، وتحليل العناصر السياقية المؤثرة في تحديد الدلالة.
٣. **المنهج المقارن:** بمقارنة المعاني المختلفة للفظة "الشهيد" في السياقات المتنوعة، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه المعاني.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على:

١. دراسة لفظة "الشهيد" ومشتقاته في القرآن الكريم دون السنة النبوية أو غيرها من النصوص.
٢. التركيز على دور السياق في تحديد الدلالة، دون الخوض في قضايا التفسير الفقهي أو العقدي إلا بالقدر الذي يخدم موضوع البحث.

٣. اختيار نماذج تطبيقية تمثل المعاني المختلفة للفظ دون استيعاب جميع المواضع القرآنية.

الدراسات السابقة:

تناولت بعض الدراسات السابقة موضوع الشهادة في القرآن الكريم من زوايا مختلفة، منها:

١. دراسات تناولت مفهوم الشهادة بمعناها الفقهي والقانوني
٢. دراسات تناولت الشهيد بمعنى القتيل في سبيل الله من منظور عقدي وفقهي
٣. دراسات لغوية تناولت ألفاظاً قرآنية متعددة من خلال السياق، لكنها لم تُفرد لفظة "الشهيد" بدراسة مستقلة عميقة.

إلا أن هذه الدراسة تتميز بتركيزها على البعد السياقي في تحديد دلالة لفظ "الشهيد" تحديداً، مع تقديم تطبيقات عملية شاملة، وهو ما يجعلها إضافة نوعية للمكتبة القرآنية.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة وتضم أهمية الموضوع، وإشكالية البحث، وأهدافه، ومنهجه، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للبحث، ويضم مطلبين المبحث الثاني: الدلالات المتعددة للفظة "الشهيد" في القرآن الكريم، ويضم خمسة مطالب بحسب المعاني المختلفة، والمبحث الثالث: دور السياق في تحديد دلالة لفظة "الشهيد": دراسة تطبيقية، ويضم ثلاثة مطالب تتناول أنواع السياق المختلفة.

والمبحث الرابع: الضوابط المنهجية لتوظيف السياق في تحديد دلالات الألفاظ القرآنية، والخاتمة.

المبحث الأول

الإطار المفاهيمي والنظري للبحث

المطلب الأول: لفظة "الشهيد" لغةً واصطلاحاً:

أولاً: المعنى اللغوي:

ترجع لفظة "الشهيد" في اللغة العربية إلى الجذر الثلاثي (ش هـ د)، وهو جذر غزير المعاني، متشعب الدلالات، وقد اعتنى علماء اللغة ببيان معاني هذا الجذر وتفريعاته، ومن أبرز ما ذكروه، فيقول ابن فارس في معجمه "مقاييس اللغة": "الشين والهاء والدال أصلٌ يدلُّ على حضورٍ وعلمٍ وإعلام. من ذلك الشهادة، وهي خبرٌ قاطع تقوله وتبديه. وسُمِّي الشاهد شاهداً لأنه يبين الحقَّ ويبديه"(١) وهذا التعريف اللغوي يبين الأصل الدلالي للفظ، وهو الحضور والعلم والإعلام، وهي معانٍ مرتبطة بعضها ببعض.

وجاء في "لسان العرب" لابن منظور: "الشهيد: هو الحاضر... والشهيد: هو الشاهد... والشهيد: وهو اسم من أسماء الله تعالى، هو الذي لا يغيب عن علمه شيء... والشهيد: هو المقتول في سبيل الله"(٢) ونلاحظ هنا تعدد الدلالات للفظ الواحد في المعاجم اللغة، مما يؤكد أهمية السياق في تحديد المعنى المراد في الجملة.

ويذكر الراغب الأصفهاني في معجمه "المفردات في غريب القرآن" أن "الشهادة: الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر أو بالبصيرة... والشهيد يُقال على وجوه: أحدها: الحاضر، يُقال شَهِدَ فلانٌ مجلس كذا... والثاني: الشاهد الذي يؤدي ما علمه وشاهده... والثالث: الشهيد الذي يُقتل في سبيل الله"(٣).

ومن خلال استقراء أقوال علماء اللغة، يمكن تحديد المعاني اللغوية الأساسية للفظة "الشهيد" على النحو التالي:

١. **الحضور**: فالشاهد هو الحاضر، يُقال: شَهِدَ فلانٌ المجلس، أي حضره.
٢. **العلم واليقين**: إذ الشهادة تستلزم العلم والمعرفة، لا مجرد الظن.
٣. **الاعلام والاخبار**: فالشاهد يُعلم بما رآه أو علمه.
٤. **المشاهدة**: سواء بالبصر الحسي أو بالبصيرة القلبية.
٥. **القتل في سبيل الله**: وهو معنى الأشهر في الاستعمال، وإن كان متفرعاً عن المعاني الأصلية.

وتجدر الإشارة إلى أن المعنى اللغوي الأصلي للشهيد يدور حول الحضور والعلم، وأما إطلاقه على القتيل في سبيل الله فهو معنى شرعي استُنبط من النصوص الشرعية، وإن كان له وجه لغوي يُعلّل به، وهو أن الشهيد حاضر عند ربه حي يُرزق، أو أن الله تعالى والملائكة يشهدون له بالإيمان والصدق.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

في الاصطلاح الشرعي، تنوعت تعريفات العلماء للشهيد بحسب التخصصات العلمية:

- **في اصطلاح الفقهاء**: يُعرّف الشهيد بأنه "من قُتل في قتال الكفار، أو وُجد في المعركة قتيلاً، أو مات بسبب جراحة أصابته في المعركة"(٤)، وهذا التعريف يركز على الجانب الفقهي المتعلق بأحكام الشهيد من غسل وصلاة ودفن.
- **في اصطلاح المحدثين:** يُطلق الشهيد على من قُتل في سبيل الله، ويتوسع بعضهم فيشمل من مات بأسباب أخرى كالمبطون والغريق والحريق، استناداً إلى الأحاديث النبوية في ذلك.
- **في اصطلاح علماء العقيدة:** الشهيد هو من قُتل مجاهداً في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وله منزلة خاصة عند الله تعالى، فهو حي عند ربه يُرزق.
- **في اصلاح المفسرين**: يُفسّر لفظة "الشهيد" بحسب السياق الوارد فيه، فقد يكون بمعنى الشاهد، أو الحاضر، أو القتيل في سبيل الله، أو اسماً من أسماء الله تعالى.

ومن المهم الإشارة إلى أن المعنى الاصطلاحي للشهيد في الفقه والحديث يختلف عن دلالته في القرآن الكريم، إذ إن القرآن يستخدم هذا اللفظة في معانٍ متعددة، ليس جميعها بمعنى القتيل في سبيل الله، وهذا ما يجعل دراسة السياق ضرورية لفهم المعنى المراد في الآيات القرآنية الكريمة.

ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

إن التأمل في المعاني اللغوية والاصطلاحية للفظة "الشهيد" يكشف عن علاقة وثيقة بينهما، فالمعاني الاصطلاحية متفرعة عن المعاني اللغوية الأصلية، فالشهيد بمعنى القتيل في سبيل الله سُمي كذلك لأنه.

١. يشهد مقامه ومنزلته عند الله تعالى.
٢. يشهد له الله وملائكته بالإيمان والصدق.
٣. حاضر عند ربه بروحه حي يُرزق.
٤. شهد المعركة وقاتل في سبيل الله.

وهكذا نرى أن المعنى الاصطلاحي الشرعي لا ينفصل عن الأصل اللغوي، بل هو امتداد له وتخصيص من عمومه.

المطلب الثاني: السياق القرآني: مفهومه وأنواعه وأهميته

أولاً: مفهوم السياق:

السياق لغةً:

يرجع لفظ السياق إلى الجذر (س وق) ، وهو يدل على الحركة والدفع والتتابع. جاء في "لسان العرب" "ساقه يسوقه سَوْقاً وسِياقاً، وانساق الكلام: تتابع"(٥). فالسياق في اللغة يدل على التتابع والترابط.

السياق اصطلاحاً:

تعددت تعريفات العلماء للسياق، ومن أبرزها

يُعرّفه بعض الباحثين بأنه: "تتابع الأفكار والمعاني والتراكيب في النص، والعلاقات الرابطة بينها، بما يحقق الانسجام والترابط في النص". (٦)

ويُعرّف بأنه: "الموقف اللغوي الذي يُستعمل فيه النص، وملابساته المختلفة من مقام وأحوال، وما يحيط بالكلمة من قرائن لفظية أو معنوية أو حالية". (٧)

والتعريف الذي نرجحهُ في هذا البحث هو: "مجموع العناصر اللغوية وغير اللغوية المحيطة بالنص أو اللفظة، والتي تسهم في تحديد دلالته وفهم المراد منه".

ثانياً: أنواع السياق القرآني:

يمكن تقسيم السياق القرآني إلى عدة أنواع بحسب اعتبارات مختلفة، وأبرز هذه الأنواع:

١. **السياق اللغوي (المقالي):** وهو ما يُسمى أيضاً بـ "سياق النص"، ويشمل:
   أ. السياق التركيبي للآية: ويتمثل في تركيب الآية نفسها، وما تشتمل عليه من كلمات وعبارات وعلاقات نحوية وصرفية، فالكلمة في الآية لا تُفهم بمعزل عن بقية كلمات الآية، بل تُفهم من خلال التركيب الكلي للآية.

ب. السياق المعنوي: ويتمثل في الآيات السابقة واللاحقة للآية محل الدراسة، إذ إن الآيات القرآنية مترابطة ترابطاً محكماً، وفهم الآية يتوقف في كثير من الأحيان على فهم ما قبلها وما بعدها.
ت. السياق البعيد: ويتمثل في سياق السورة كلها، وموضوعها العام، ومقاصدها الكلية، فالآية جزء من سورة، والسورة وحدة موضوعية متكاملة.

٢. **السياق الموضوعي:** ويُقصد به النظر إلى الآيات التي تتناول الموضوع نفسه في القرآن الكريم كله، فيُفسّر القرآن بالقرآن، وتُجمع الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد لفهمه فهماً شاملاً.
٣. **السياق التاريخي أو سياق النزول:** ويُقصد به معرفة أسباب نزول الآيات، والملابسات التاريخية التي نزلت فيها، وهو ما يُعرف بـ "أسباب النزول"، وله أهمية كبيرة في فهم المعنى المراد من الآية.
٤. **السياق الثقافي:** ويُقصد به البيئة الثقافية واللغوية والاجتماعية التي نزل فيها القرآن، وما كان سائداً من عادات وتقاليد وأعراف، وما كان معهوداً في استعمال الألفاظ عند العرب.

ثالثاً: أهمية السياق في فهم النص القرآني:

للسياق أهمية بالغة في فهم النص القرآني، وتتجلى هذه الأهمية في الجوانب التالية:

١. **تحديد المعنى المراد:**

فالكلمة الواحدة قد تحتمل معاني متعددة، والسياق هو الذي يُحدد المعنى المراد منها في كل موضع. يقول ابن القيم: "السياق يُرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم". (٨)

٢. **دفع التعارض الظاهري:**

قد يبدو بين بعض الآيات تعارض ظاهري، والنظر في السياق يكشف عن انتفاء هذا التعارض، إذ يتبين أن كل آية وردت في سياق مختلف، أو بمعنى مختلف.

٣. **الكشف عن المقاصد القرآنية:** فالسياق يُعين على فهم مقاصد الآيات والسور، والحكمة من إيرادها في مواضعها،
٤. **البلاغة القرآنية:** إذ إن من إعجاز القرآن دقة اختيار الألفاظ بما يناسب السياق، والسياق يكشف عن أسرار هذا الاختيار ودقته.
٥. **منع التحريف والتأويل الخاطئ:**

فالاعتماد على السياق يمنع من انتزاع الآيات من سياقاتها وتأويلها تأويلاً يخالف المراد منها، وقد أدرك المفسرون أهمية السياق منذ القديم، فالإمام الشافعي يقول: "لا يُستنبط معنى آية دون النظر إلى ما قبلها وما بعدها"(٩)، ويقول الزركشي في "البرهان": "من أعظم الأسباب الموصلة لفهم معاني القرآن: معرفة السياق"(١٠)

رابعاً: العلاقة بين السياق والدلالة:

العلاقة بين السياق والدلالة علاقة وثيقة ومباشرة، فالسياق هو الإطار الذي تتحدد فيه دلالة اللفظة، واللفظة في اللغة العربية قد يكون:

١. **صريح الدلالة:** أي له معنى واحد لا يحتمل غيره، وهذا قليل في اللغة.
٢. **ذو دلالة متعددة:** أي له أكثر من معنى محتمل، وهذا كثير في اللغة، وهنا يأتي دور السياق في تعيين المعنى المراد، والقرآن الكريم استخدم هذه الخاصية اللغوية، فاستعمل اللفظة الواحدة في معانٍ متعددة بحسب السياقات المختلفة، دون أن يحدث لبس أو غموض، وذلك لدقة السياقات وإحكامه.

ولفظة "الشهيد" نموذج واضح لهذه الظاهرة، إذ ورد في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة، كما سيتبين في الفصول القادمة، والسياق هو الذي يُحدد المعنى المراد في كل موضع.

المبحث الثاني
الدلالات المتعددة للفظة "الشهيد" في القرآن الكريم

ورد لفظة "الشهيد" ومشتقاته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، تُقارب المائة وخمسين موضعاً، موزعة على صيغ مختلفة (اسم فاعل، واسم مفعول، ومصدر، وفعل بأزمنته المختلفة). وقد اختلفت دلالات هذا اللفظة بحسب السياقات التي ورد فيها، ويمكن تصنيف هذه الدلالات إلى خمسة معانٍ رئيسة:

المطلب الأول: الشهيد بمعنى الشاهد (من يؤدي الشهادة):

هذا المعنى من أكثر المعاني وروداً في القرآن الكريم، ويُقصد به الشاهد الذي يُدلي بشهادته إثباتاً للحق أو نفياً للباطل، والشهادة في هذا المعنى تتطلب العلم واليقين، لا مجرد الظن والتخمين. (١١)

من الآيات الدالة على هذا المعنى:

١. قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ (١٢)

في هذه الآية، الشهيد بمعنى الشاهد الذي يُستدعى لأداء الشهادة في المعاملات المالية، والسياق هنا سياق تشريعي يتعلق بتوثيق الديون والمعاملات، والأمر بالإشهاد للحفظ والتوثيق.

٢. قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (١٣)

هنا يأمر الله تعالى المؤمنين بأن يكونوا شهداء بالحق والعدل، حتى لو كانت الشهادة على أنفسهم أو على أقرب الناس إليهم، والسياق هنا يؤكد على أهمية العدل وعدم المحاباة في الشهادة.

٣. قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (١٤)

في هذه الآية، الشهداء هم من يشهدون على جريمة الزنا، ويُشترط أن يكونوا أربعة شهود والسياق هنا سياق عقوبة حد القذف لمن لم يأتِ بالشهود المطلوبين.

وفي هذا المعنى، نجد أن السياق اللغوي والموضوعي واضح الدلالة على أن المراد بالشهيد هنا هو الشاهد الذي يُدلي بشهادته في قضية ما، سواء في المعاملات أو في الحدود أو في القضاء.

المطلب الثاني: الشهيد بمعنى الحاضر المطّلع:

ويُقصد به من يحضر الأمر ويشهده ويطّلع عليه، وقد يكون هذا الحضور حسياً أو معنوياً.

من الآيات الدالة على هذا المعنى:

١. قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (١٥)

في هذه الآية، الشهيد هو النبي الذي يشهد على أمته يوم القيامة، والمعنى أنه حاضر ومطّلع على أعمالهم في الدنيا، وسيشهد عليهم في الآخرة. والسياق هنا سياق تصوير ليوم القيامة وأهواله.

٢. قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٦)

وفي موضع آخر: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٧)

هنا النبي صلى الله عليه وسلم شاهد على الناس، أي حاضر ومطّلع على أحوالهم، ومبلغ لرسالة ربه.

٣. قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١٨)

في هذه الآية، المسلمون شهداء على الناس، بمعنى أنهم حاضرون شاهدون على الأمم الأخرى يوم القيامة، يشهدون لأنبيائهم بالبلاغ، وعلى أممهم بالتكذيب.

والسياق في هذه الآيات يدل على معنى الحضور والاطلاع، وليس مجرد أداء الشهادة بالمعنى القضائي، بل هو حضور يستلزم العلم واليقين.

المطلب الثالث: الشهيد بمعنى القتيل في سبيل الله:

هذا المعنى من أشهر معاني الشهيد في الاستعمال الإسلامي، ويُقصد به من قُتل في قتال أعداء الله لإعلاء كلمة الله تعالى.

من الآيات الدالة على هذا المعنى:

١. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٩)

هذه الآية من أوضح الآيات في بيان منزلة الشهداء، وأنهم أحياء عند الله، وإن كان اللفظة هنا "الذين قُتلوا" وليس "الشهداء" بمعنى الصراحةً، إلا أن السياق واضح في أن المراد هم الشهداء، وقد جاء في الآيات اللاحقة وصفهم بأوصاف تدل على علو منزلتهم.

٢. قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (٢٠)

في هذه الآية بيان لعقد المبايعة بين المؤمنين وربهم، وأن من يُقتل في سبيل الله له الجنة، والسياق يدل على الترغيب في الجهاد والشهادة.

٣. قوله تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (٢١)
هنا ذكر الله الشهداء مع الصديقين، وأخبر أن لهم أجرهم ونورهم عند ربهم، والسياق يدل على علو منزلتهم

٤. قوله تعالى:﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (٢٢)
في هذه الآية ذكر الله الشهداء في مصاف النبيين والصديقين، مما يدل على علو منزلتهم ورفعة مقامهم عند الله، والسياق في هذه الآيات جميعاً يدل على أن المراد بالشهداء هم الذين قُتلوا في سبيل الله، وأن لهم منزلة خاصة عند الله، وأنهم أحياء عنده يُرزقون.

المطلب الرابع: الشهيد بمعنى الرقيب والمراقب:

ويُقصد به من يرقب الشيء ويطّلع عليه ويحفظه، وهذا المعنى قريب من معنى الحاضر المطّلع، لكنه يزيد عليه بمعنى الرقابة والحفظ.

من الآيات الدالة على هذا المعنى:

١. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٢٣)
النبي صلى الله عليه وسلم شاهد ورقيب على أمته، يراقب أحوالهم ويبلغهم رسالة ربهم.

٢. قوله تعالى:﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٢٤)
الشاهد هنا رقيب على أعمال أمته، عالم بها، وسيشهد عليهم يوم القيامة

٣. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢٥)
هنا وصف الله تعالى نفسه بأنه شهيد على كل شيء، أي رقيب عليه، عالم به، لا يخفى عليه شيء.

المطلب الخامس: الشهيد اسم من أسماء الله الحسنى:

وردت لفظة "الشهيد" في القرآن الكريم اسماً من أسماء الله تعالى، ويدل على كمال علمه سبحانه واطلاعه على كل شيء، وأنه لا يغيب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء.

من الآيات الدالة على هذا المعنى:

١. قوله تعالى:﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (٢٦)
في هذه الآية يُخبر الله تعالى أنه شهيد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومه، أي رقيب عليهم، عالم بأحوالهم، وسيحكم بينهم.

٢. قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢٧)
هذه الآية صريحة في إثبات اسم "الشهيد" لله تعالى، والمعنى أنه سبحانه مطّلع على كل شيء، رقيب على كل شيء، لا يخفى عليه شيء.

٣. قوله تعالى﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٢٨)
أي يكفي الله شاهداً ورقيباً، فهو العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء:

٤. قوله تعالى ﴿هو الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وفي موضع آخر ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢٩)
والسياق في هذه الآيات جميعاً يدل على أن المراد بالشهيد هنا هو الله تعالى، وأن من معاني هذا الاسم: العليم المطّلع على كل شيء، الرقيب الذي لا يغيب عن علمه شيء.

المبحث الثالث

دور السياق في تحديد دلالة لفظ "الشهيد": دراسة تطبيقية:

بعد أن استعرضنا المعاني المختلفة للفظة "الشهيد" في القرآن الكريم، يأتي دور الدراسة التطبيقية لبيان كيف يسهم السياق في تحديد المعنى المراد في كل موضع. وسنتناول في هذا الفصل ثلاثة أنواع من السياق: السياق اللغوي، والسياق الموضوعي، والسياق التاريخي.

المطلب الأول: السياق اللغوي وأثره في تحديد دلالة لفظ "الشهيد":

السياق اللغوي هو أقرب أنواع السياق إلى اللفظة، وهو الذي يتمثل في التركيب اللغوي للآية، وما يحيط باللفظة من كلمات وعبارات، وسنتناول هنا نماذج تطبيقية توضح دور السياق اللغوي في تحديد المعنى:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (٣٠)

السياق اللغوي للآية :جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن الدَّيْن وكيفية توثيقه، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، ثم قال: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

القرائن اللغوية الدالة على المعنى:

١. الفعل "استشهدوا": وهو طلب الإشهاد، أي طلب الشهادة، وهذا يدل على أن المراد بالشهيد هنا هو الشاهد الذي يُستدعى لأداء الشهادة.
٢. **العدد "شهيدين"** :"تحديد العدد بشهيدين يدل على أن المراد أشخاص معينون يُطلب منهم الشهادة.
٣. **القيد "من رجالكم"** :"وهذا يدل على أن الشهداء المطلوبين هم أشخاص معروفون موثوقون.
٤. **التفصيل في الآية اللاحقة** :﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾، وهذا تفصيل لأحكام الشهادة، مما يؤكد أن المراد بالشهيد هنا هو الشاهد في المعاملات.
٥. **السياق الموضوعي للآية** :الآية كلها في سياق توثيق المعاملات المالية والديون، وهذا يقطع بأن المراد بالشهيد هو الشاهد، أي لا معنى آخر.

النتيجة :السياق اللغوي واضح الدلالة على أن المراد بالشهيد في هذه الآية الكريمة هو الشاهد الذي يُستدعى لأداء الشهادة في المعاملات المالية.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٣١)

السياق اللغوي للآية :جاءت هذه الآية بعد الحديث عن غزوة أحد، وما أصاب المسلمين فيها من قتل وجراح، حيث يقول الله تعالى في الآيات السابقة: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ إلى أن قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾.

القرائن اللغوية الدالة على المعنى:

١. **لفظة "قتلوا"** :"وهو صريح في القتل، ولكنه مقيد بقيد مهم.
٢. **القيد "فِي سَبِيلِ اللَّهِ"** :"وهذا قيد جوهري يُخرج القتل العادي ويخصصه بالقتل في الجهاد لإعلاء كلمة الله.
٣. **النفي "أَمْوَاتًا"** :"نفي كونهم أمواتاً بالمعنى المطلق.
٤. **الإثبات "بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ"** :"إثبات حياة خاصة لهم عند الله.
٥. **الحال "يُرْزَقُونَ"** :"وهو وصف حالهم بأنهم يُرزقون، مما يدل على نوع خاص من الحياة.
٦. **السياق التاريخي** :الآية نزلت بعد غزوة أحد التي استُشهد فيها عدد من الصحابة، منهم حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) .

النتيجة : السياق اللغوي والتاريخي يدلان بوضوح على أن المراد بـ "الذين قُتلوا في سبيل الله" هم الشهداء، وأن الله تعالى يُخبر عن حياتهم الخاصة عنده وعن رزقهم، مما يدل على علو منزلتهم.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٣٢)

السياق اللغوي للآية :جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن الظهار، حيث يقول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، ثم ذكر أحكام الظهار، ثم ختم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

القرائن اللغوية الدالة على المعنى:

١. **اسم الجلالة "اللَّهَ"** :"وهو صريح في أن المتحدث عنه هو الله تعالى.
٢. **حرف الاستعلاء "عَلَىٰ"** :"يفيد الاستعلاء والإحاطة والهيمنة.
٣. **العموم "كُلِّ شَيْءٍ"** :"وهو يشمل كل موجود، ولا يُستثنى منه شيء.
٤. **لفظ "شَهِيدٌ"** :"جاء نكرة في سياق الإثبات، مما يفيد الكمال والتمام.
٥. **السياق السابق** :ذكر الله سبحانه أنه "سَمِيعٌ بَصِيرٌ"، وهذا يدل على كمال علمه واطلاعه.

النتيجة : السياق اللغوي يدل على أن المراد بالشهيد هنا هو اسم من أسماء الله تعالى، يدل على كمال علمه واطلاعه على كل شيء، وأنه رقيب على كل شيء، لا يخفى عليه شيء.

المطلب الثاني: السياق الموضوعي وأثره في تحديد دلالة لفظ "الشهيد"

السياق الموضوعي يُقصد به موضوع السورة الكلي، ومقاصدها الأساسية، وكيف تتكامل الآيات في خدمة هذا الموضوع، وسنتناول هنا نموذجين يوضحان دور السياق الموضوعي:

النموذج الأول: سورة البقرة:

الموضوع الكلي للسورة :سورة البقرة من السور المدنية الطوال، وتتناول موضوعات عديدة، أبرزها: أحكام التشريع الإسلامي، والدعوة إلى الالتزام بشرع الله، وبيان أحوال أهل الكتاب، وقصص الأنبياء، وأحكام المعاملات.

موضع لفظة "الشهيد" في السورة :ورد لفظة "الشهيد" ومشتقاتها في سورة البقرة في عدة مواضع، منها:

١. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٣٣): هنا الشهداء بمعنى الشهود الحاضرين المطّلعين الذين يشهدون على الناس يوم القيامة.

٢. ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (٣٤): هنا الشهيد بمعنى الشاهد في المعاملات المالية.

دور السياق الموضوعي :السياق الموضوعي في كل موضع يحدد المعنى المراد، ففي الآية الأولى، السياق يتحدث عن فضل الأمة المحمدية ووسطيتها ودورها في الشهادة على الأمم، فكان المعنى المناسب هو الشهود الحاضرين، وفي الآية الثانية، السياق يتحدث عن أحكام المعاملات المالية وتوثيقها، فكان المعنى المناسب هو الشاهد في المعاملات.

النموذج الثاني: سورة آل عمران:

الموضوع الكلي للسورة :سورة آل عمران تتناول موضوعات عديدة، أبرزها: الدفاع عن العقيدة الإسلامية في مواجهة أهل الكتاب، والحديث عن غزوة أحد ودروسها، والحث على الجهاد والثبات.

موضع لفظة "الشهيد" في السورة :وردت لفظة "الشهيد" ومشتقاتها في سورة آل عمران في عدة مواضع، منها:

١. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٣٥): هنا الحديث عن الشهداء بمعنى القتلى في سبيل الله.

٢. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٣٦): هنا الشهيد اسم من أسماء الله تعالى.

دور السياق الموضوعي :في الآية الأولى، جاءت في سياق الحديث عن غزوة أحد وما أصاب المسلمين فيها، فكان المناسب ذكر منزلة الشهداء تثبيتاً للمؤمنين وتسلية لهم، وفي الآية الثانية، جاءت في سياق تأكيد علم الله واطلاعه على كل شيء، فكان المناسب ذكر اسم "الشهيد" من أسماء الله تعالى.

المطلب الثالث: السياق التاريخي (سياق النزول) وأثره في تحديد دلالة لفظة "الشهيد"

السياق التاريخي، أو ما يُعرف بأسباب النزول، له دور مهم في فهم الآيات القرآنية وتحديد دلالاتها، وسنتناول هنا نموذجاً يوضح هذا الدور:

النموذج: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٣٧)

سبب النزول : ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت بعد غزوة أحد، التي استُشهد فيها سبعون من الصحابة (رضي الله عنهم)، منهم حمزة بن عبد المطلب عم النبي(صلى الله عليه وسلم)، وكان المسلمون قد حزنوا حزناً شديداً على شهدائهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية تسلية لهم وتثبيتاً، وبياناً لمنزلة الشهداء عنده(٣٨) .

دور السياق التاريخي في تحديد الدلالة:

١. **معرفة سبب النزول** توضح أن الآية نزلت في سياق خاص، وهو تسلية المسلمين عن شهدائهم، وبيان منزلتهم.

٢. **معرفة الحدث التاريخي** (غزوة أحد) يجعل المعنى أكثر وضوحاً، فالآية تتحدث عن شهداء أحد تحديداً، وإن كان حكمها عاماً في كل شهداء المسلمين.

٣. **معرفة حال الصحابة** وحزنهم على شهدائهم يُبين الحكمة من نزول الآية، وهي رفع معنوياتهم وتثبيتهم.

٤. **السياق التاريخي يُؤكد المعنى** الذي دل عليه السياق اللغوي، وهو أن المراد بـ "الذين قُتلوا في سبيل الله" هم الشهداء القتلى في المعارك الإسلامية.

خلاصة :السياق التاريخي يُسهم في تعميق الفهم للآية، ويُؤكد الدلالة التي حددها السياق اللغوي، ويكشف عن الحكمة من نزول الآية، وهذا يُعين على فهم النص القرآني فهماً شاملاً متكاملاً.

المبحث الرابع

الضوابط المنهجية لتوظيف السياق في تحديد دلالات الألفاظ القرآنية

من خلال ما تقدم من دراسة نظرية وتطبيقية، يمكن استخلاص مجموعة من الضوابط المنهجية التي ينبغي مراعاتها عند توظيف السياق في تحديد دلالات الألفاظ القرآنية عموماً، ولفظة "الشهيد" خصوصاً:

الضابط الأول: الانطلاق من المعنى اللغوي الأصلي للفظة: (٣٩)

ينبغي على الباحث أن يبدأ بمعرفة المعنى اللغوي الأصلي للفظ كما استعمله العرب، إذ إن القرآن نزل بلغة العرب، وخاطبهم بما يفهمون، والمعنى اللغوي هو الأساس الذي تُبنى عليه المعاني الأخرى، فلا يُعدل عنه إلا بدليل واضح من السياق.

ولفظة "الشهيد" في اللغة يدور معناه الأصلي حول الحضور والعلم، وهذا المعنى الأصلي نجده حاضراً في جميع استعمالات اللفظة في القرآن، وإن تنوعت الدلالات بحسب السياقات.

الضابط الثاني: مراعاة السياق اللغوي القريب والبعيد: (٤٠)

السياق اللغوي هو أول ما ينبغي النظر فيه، ويشمل ذلك:

١. **تركيب الآية نفسها** : بالنظر إلى الكلمات والعبارات المحيطة باللفظة، والعلاقات النحوية والصرفية بينها.
٢. **الآيات السابقة واللاحقة** :فالآيات مترابطة، وفهم الآية يتوقف في كثير من الأحيان على فهم ما قبلها وما بعدها.
٣. **السياق العام للسورة** :فالسورة وحدة موضوعية متكاملة، ومعرفة موضوعها ومقاصدها يُعين على فهم آياتها.

الضابط الثالث: الاستعانة بالقرائن اللفظية والمعنوية: (٤١)

القرائن اللفظية والمعنوية لها دور كبير في تحديد المعنى المراد، ومن أبرز هذه القرائن:

١. **القيود المذكورة في الآية** :مثل قوله "في سبيل الله" في آية الشهداء، فهذا قيد يُخصص المعنى.
٢. **الأوصاف والأحوال** :مثل قوله "أحياء عند ربهم يُرزقون"، فهذا وصف لحال الشهداء.
٣. **أدوات النفي والإثبات** :مثل "لا تحسبن" و"بل"، فهي تُؤكد المعنى وتوضحه.
٤. **السياق العام للآية** :هل هو سياق أمر أم نهي، ترغيب أم ترهيب، قصة أم تشريع.

الضابط الرابع: معرفة أسباب النزول والسياق التاريخي: (٤٢)

معرفة أسباب النزول والملابسات التاريخية التي نزلت فيها الآية تُسهم بشكل كبير في فهم المعنى المراد، لكن يجب التنبه إلى أن "العبرة بعموم اللفظة لا بخصوص السبب"، فالآية وإن نزلت في حادثة معينة، فإن حكمها عام لكل من يدخل في معناها.

الضابط الخامس: الجمع بين أنواع السياق المختلفة: (٤٣)

ينبغي على الباحث أن يجمع بين أنواع السياق المختلفة: اللغوي، والموضوعي، والتاريخي، ولا يقتصر على نوع واحد، فالسياقات تتكامل فيما بينها لتحديد المعنى الأدق والأشمل.

الضابط السادس: الرجوع إلى أقوال السلف من الصحابة والتابعين والمفسرين: (٤٤)

أقوال الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) لها وزن كبير في التفسير، إذ هم أعلم الناس بمعاني القرآن ومراد الله منه، فقد عاصروا النزول وشهدوا أسبابه، وعلموا لغة العرب وأساليبهم، وكذلك أقوال المفسرين المعتبرين من بعدهم، فقد بذلوا جهوداً كبيرة في فهم القرآن وبيان معانيه.

الضابط السابع: عدم التعسف في تأويل النص: (٤٥)

ينبغي على الباحث أن يلتزم بالمعاني الظاهرة الواضحة من النص، ولا يتكلف في التأويل والبحث عن معانٍ بعيدة لا يدل عليها السياق، فالقرآن نزل واضحاً مبيناً، والأصل فيه الحمل على الظاهر إلا إذا دل دليل على خلاف ذلك.

الضابط الثامن: مراعاة الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة: (٤٦)

القرآن الكريم يستعمل ألفاظاً متقاربة في المعنى، لكن بينها فروق دقيقة، وينبغي مراعاة هذه الفروق عند التفسير، فمثلاً، هناك فرق بين "الشهيد" و"الشاهد" و"المشهود"، وإن كانت من مادة واحدة، فلكل منها استعمال خاص ودلالة خاصة بحسب السياق.

الضابط التاسع: الانتباه إلى خصوصية الاستعمال القرآني: (٤٧)

القرآن الكريم قد يستعمل اللفظة في معنى خاص به، قد يتجاوز المعنى اللغوي الأصلي أو يضيف إليه، وهذا من إعجاز القرآن، فمثلاً، استعمال القرآن للفظة "الشهيد" بمعنى القتيل في سبيل الله هو استعمال شرعي خاص، وإن كان له وجه لغوي يُعلّل به.

الضابط العاشر: التكامل المنهجي في دراسة اللفظة: (٤٨)

ينبغي أن تتكامل المناهج المختلفة في دراسة اللفظ القرآني: المنهج اللغوي، والمنهج التفسيري، والمنهج الموضوعي، والمنهج التاريخي، ولا يُعتمد على منهج واحد بمعزل عن البقية، فالتكامل المنهجي يُفضي إلى نتائج أكثر دقة وشمولاً.

الخاتمـــــة:

بعد هذه الرحلة العلمية في رحاب لفظة "الشهيد" في القرآن الكريم، ودراسة السياق القرآني وأثره في تحديد دلالة هذا اللفظة، نلخص إلى جملة من النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

١. **لفظة "الشهيد" في اللغة** :يدور معناه الأصلي حول الحضور والعلم والإعلام، وهذا المعنى الأصلي حاضر في جميع استعمالات اللفظة في القرآن الكريم، وإن تنوعت الدلالات بحسب السياقات.
٢. **السياق القرآني** بأنواعه المختلفة (اللغوي، والموضوعي، والتاريخي) هو العامل الحاسم في تحديد الدلالة المرادة من لفظة "الشهيد"، وإهمال السياق قد يؤدي إلى الوقوع في الخلط الدلالي والفهم الخاطئ للنص القرآني.
٣. **لفظة "الشهيد" وردت في القرآن الكريم بخمسة معانٍ رئيسة** :
   - الشاهد الذي يؤدي الشهادة
   - الحاضر المطّلع
   - القتيل في سبيل الله
   - الرقيب والمراقب
   - اسم من أسماء الله الحسنى
٤. **السياق اللغوي** (المقالي) هو أقرب أنواع السياق إلى اللفظة، وله دور أساسي في تحديد المعنى، من خلال القرائن اللفظية والتركيبية المحيطة باللفظة.
٥. **السياق الموضوعي** (سياق السورة) يُسهم في تعميق الفهم للآية، ويُبين كيف تتكامل الآيات في خدمة موضوع السورة ومقاصدها.
٦. **السياق التاريخي** (أسباب النزول) له دور مهم في فهم الملابسات التي نزلت فيها الآية، لكن العبرة بعموم اللفظة لا بخصوص السبب.
٧. **القرآن الكريم استخدمت لفظة "الشهيد" استخداماً بديعاً**، فاستعمله في معانٍ متعددة بحسب السياقات المختلفة، دون أن يحدث لبس أو غموض، وهذا من وجوه الإعجاز البياني في القرآن.
٨. **تحديد دلالة اللفظة القرآني**: لا يتم بمعزل عن السياق، بل لا بد من النظر إلى مجموع العناصر السياقية المحيطة باللفظة.
٩. **المعنى الاصطلاحي الشرعي للشهيد** (القتيل في سبيل الله) متفرع عن المعنى اللغوي الأصلي، وليس منفصلاً عنه.
١٠. **هناك ضوابط منهجية** ينبغي مراعاتها عند توظيف السياق في تحديد دلالات الألفاظ القرآنية، منها: الانطلاق من المعنى اللغوي، ومراعاة أنواع السياق المختلفة، والاستعانة بالقرائن، والرجوع إلى أقوال السلف، وعدم التعسف في التأويل.

ثانياً: التوصيات:

في ختام هذا البحث، نوصي بما يلي:

١. **الاهتمام بدراسة السياق القرآني** والتوسع في تطبيقاته على ألفاظ القرآن الكريم المختلفة، فهذا المنهج يُسهم في تعميق الفهم للنص القرآني.
٢. **إعداد دراسات تطبيقية شاملة** لألفاظ قرآنية أخرى من خلال منهج السياق، على غرار ما تم في هذا البحث مع لفظة "الشهيد."
٣. **تطوير أدوات منهجية دقيقة** لتحليل السياق القرآني، تستفيد من المناهج اللسانية الحديثة دون إغفال التراث التفسيري الأصيل.
٤. **تضمين مناهج الدراسات القرآنية** في الجامعات مقررات متخصصة في دراسة السياق القرآني ودوره في فهم النص.
٥. **إعداد معجم سياقي لألفاظ القرآن الكريم**، يُبين المعاني المختلفة لكل لفظ بحسب السياقات التي ورد فيها.
٦. **تشجيع البحث العلمي** في مجال الدراسات القرآنية السياقية، وتخصيص جوائز ومسابقات علمية لها.
٧. **الاستفادة من التقنيات الحديثة** في تحليل السياقات القرآنية، مثل برامج التحليل اللغوي الحاسوبي، مع الحذر من الاعتماد الكلي عليها دون المرجعية للعلماء والمراجع.
٨. **التأكيد على أهمية الرجوع إلى أقوال السلف** من أهل بيت النبي (عليهم السلام) والصحابة والتابعين والمفسرين المعتبرين، فهم أعلم الناس بمعاني القرآن ومراد الله منه.
٩. **التحذير من انتزاع الآيات من سياقاتها** وتأويلها تأويلاً يخالف المراد منها، فهذا من أخطر ما يُبتلى به بعض الناس في التعامل مع النص القرآني.
١٠. **نشر الوعي بأهمية السياق** في فهم النصوص الشرعية عموماً، والقرآن الكريم خصوصاً، من خلال المحاضرات والدورات العلمية والمؤلفات الميسرة.

وختاماً، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين، وأن يُلهمنا الصواب والرشاد في فهم كتابه العزيز وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: كتب التفسير:

١. **الطبري، محمد بن جرير** (ت ٣١٠هـ(،) جامع *البيان في تأويل القرآن*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
٢. **ابن كثير، إسماعيل بن عمر** (ت ٧٧٤هـ) *تفسير القرآن العظيم* .تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة، ١٩٩٩م.
٣. **القرطبي، محمد بن أحمد** (ت ٦٧١هـ)، *الجامع لأحكام القرآن* .تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.
٤. **الزمخشري، محمود بن عمر** (ت ٥٣٨هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
٥. **الرازي، فخر الدين محمد بن عمر** (ت ٦٠٦هـ)، *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
٦. **البيضاوي، عبد الله بن عمر** (ت ٦٨٥هـ)، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.
٧. **الطاهر بن عاشور، محمد** (ت ١٣٩٣هـ)، *التحرير والتنوير*، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
٨. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر** (ت ١٣٧٦هـ)، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

ثالثاً: كتب علوم القرآن:

٩. **الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله** (ت ٧٩٤هـ)، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.

١٠. **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن** (ت ٩١١هـ)، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
١١. **الواحدي، علي بن أحمد** (ت ٤٦٨هـ)، *أسباب النزول*، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام: دار الإصلاح، ١٩٩٢م.

رابعاً: كتب اللغة والمعاجم:

١٢. **ابن فارس، أحمد بن فارس** (ت ٣٩٥هـ)، معجم *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.
١٣. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، *لسان العرب*، بيروت: دار صادر،٢٠٠٣هـ.
١٤. **الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد** (ت ٥٠٢هـ)، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.
١٥. **الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب** (ت ٨١٧هـ)، *القاموس المحيط*، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م.
١٦. **الجوهري، إسماعيل بن حماد** (ت ٣٩٣هـ)، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

خامساً: كتب أصول الفقه والقواعد:

١٧. **ابن القيم، محمد بن أبي بكر** (ت ٧٥١هـ)، *بدائع الفوائد*، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
١٨. **الشاطبي، إبراهيم بن موسى** (ت ٧٩٠هـ)، *الموافقات في أصول الشريعة* تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الخبر: دار ابن عفان، ١٩٩٧م.

سادساً: الدراسات والبحوث المعاصرة:

١٩. **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني**، *قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل* .دمشق: دار القلم، ١٩٩٩م.
٢٠. **مساعد بن سليمان الطيار**، *فصول في أصول التفسير*، الرياض: دار ابن الجوزي، ٢٠٠٩م.
٢١. **محمد الأمين الشنقيطي**، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.
٢٢. **فاضل صالح السامرائي**، *بلاغة الكلمة في التعبير القرآني*، عمان: دار عمار، ٢٠٠٦م.
٢٣. **عبد الله الجديع**، *المقدمات الأساسية في علوم القرآن*، بيروت: مؤسسة الريان، ٢٠٠٣م.
٢٤. **محمود توفيق محمد سعد**، *السياق القرآني وأثره في التفسير: دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير الطبري*، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م.
٢٥. **صلاح عبد الفتاح الخالد**، *التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق*، عمان: دار النفائس، ١٩٩٩م.

سابعاً: كتب الحديث النبوي:

٢٦. **البخاري، محمد بن إسماعيل** (ت ٢٥٦هـ) *صحيح البخاري*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٢٧. **مسلم، مسلم بن الحجاج** (ت ٢٦١هـ)، *صحيح مسلم* .تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

الهوامش الختامية:

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (ش ه د)، ج٣،ص٢٢١.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش ه د)، ج٣، ص ٢٣٨.
(٣) الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (شهد)، ص٤٣٥.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،**ج٦، ص ٣٦٥.**
(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة(س و ق)، ج٨، ص١٦٦.
(٦) محمود توفيق محمد سعد، السياق القرآني وأثره في التفسير، ص٤٥.
(٧) عبد الرحمن حبنكه الميداني، قواعد التدبر الأمثل، ص١٢٥.
(٨) ابن القيم، بدائع الفوائد، ج٤، ص٧.
(٩) نقله عنه الشاطبي في الموافقات، ج٣، ص٣٥١.

(١٠) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، س١٨٦.
(١١) ابن القيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص٩٤.
(١٢) البقرة: ٢٨٢
(١٣) النساء:١٣٥
(١٤) النور: ٤
(١٥) النساء: ٤١
(١٦) الأحقاف: ٣٤
(١٧) الفتح: ٨
(١٨) البقرة: ١٤٣
(١٩) آل عمران: ١٦٩
(٢٠) التوبة: ١١١
(٢١) الحديد: ١٩
(٢٢) النساء: ٦٩
(٢٣) الأحزاب: ٤٥
(٢٤) النساء: ٤١
(٢٥) المجادلة: ٦
(٢٦) الأنعام: ١٩
(٢٧) المجادلة: ٦
(٢٨) النساء: ٧٩
(٢٩) آل عمران: ٩٨
(٣٠) البقرة: ٢٨٢
(٣١) **آل عمران: ١٦٩**
(٣٢) المجادلة: ٦
(٣٣) البقرة: ١٤٣
(٣٤) البقرة: ٢٨٢
(٣٥) آل عمران: ١٦٩
(٣٦) آل عمران: ٩٨
(٣٧) **آل عمران: ١٦٩**
(٣٨) الواحدي اسباب النزول، ص١٢٧.
(٣٩) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٥٩.
(٤٠) ابن القيم، بدائع الفوائد، ج٤، ص٧.
(٤١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٨٦.
(٤٢) الشاطبي، الموافقات، ج٣، ص٣٤٧.
(٤٣) محمود توفيق، السياق القرآني وأثره في التفسير، ص٩٨.
(٤٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢،ص١٥٦.
(٤٥) الشاطبي، الموافقات، ج٣، ص٣٥٦.
(٤٦) الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٢٥.
(٤٧) الطاهر بن عاشور، التجريد والتنوير، ج١، ص١٦.
(٤٨) مساعد الطيار، فصول في اصول التفسير، ص٩٦.